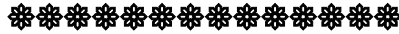


تاريخ الاستلام: 2016/10/07 - تاريخ التحكيم: 2017/02/26 - تاريخ النشر: 2017/06/02

التفسير النفسي للذكريات الباكرة

د. خالد خياط، أ. ريان حوحو

جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)



Abstract:

ملخص:

The term of early recollection is simple in its definition but deeply profound in its content because it includes the past ,present ,and future of individual . so early recollection is an essential psychological tool in assessing the person's character , that who it was widely applied by classical practianers but depeding on their theoretical background and premises , and their methodological orientation adlerian , the major methods of early recollections interpretation were individual psychology and freudien psychoanalysis. In this artikle we will present both points of view and and their practical implications in the conception and interpretaion of early recollections, the refore, our problimatic to discussis

يعتبر مصطلح الذكريات الباكرة بسيط من خلال مفهومه ولكنه عميق جدا لأنه يشمل الماضي والحاضر والمستقبل للفرد لذلك فالذكريات الباكرة كانت أداة أساسية مساعدة في كشف الجانب النفسي لشخصية الفرد منذ القدم حيث أخذت إهتمام العيادين منذ فترة طويلة ، فالاختلافات في استعمالاتها تتضح من خلال تفسيرات بعض العلماء وكذلك كيفية إستعمالها. كان يوجد موقفين مختلفين كبيرين لتحديد مغزى الذكريات الباكرة . موضوعنا يستعرض وجهة نظر مدرستي علم النفس الفردي والتحليل النفسي لمفهوم وتأويل الذكريات الباكرة وتوضيح الاختلافات بينهما .

الكلمات المفتاحية: التفسير النفسي . منهاج العيش (أسلوب الحياة). الذكريات الباكرة . الذكريات الستائر.

مقدمة:

إن الذكريات الباكرة من أهم اكتشافات علم النفس الفردي ، لان هذا العلم اثبت وجود هدف في اختيار ما نتذكره من المواقف و الأحداث الماضية , رغم ان الذكرى بحد ذاتها هي واعية و يمكن إسترجاعها بسهولة ، فهي تتحرر بطريقة واعية.

ان هذه الذكريات هي عبارة عن تقارير وأحداث يسردها الفرد عن الماضي فيمكن ان تكون حقيقية أو غير حقيقية أي من انتاج الخيال فالذكريات الباكرة التي يختارها الفرد عن سواها و عن باقي الذكريات فهي منتقات لأنها مشابهة لأسلوب حياة الفرد ومبني على أساسها ، فأذا أردنا تحديد منهاج العيش (أسلوب حياة) لدى فرد ما . ما علينا سوى أن نسأله عن ذكرياته الباكرة؟

واذا عاد الفرد للماضي بتفكيره و عقله فإنه سوف يتذكر الاشياء و المواقف التي تركت في نفسه تأثير كبير وخاصة من الناحية النفسية و الانفعالية و المطابقة لأسلوب حياته الحالي ، ولذلك يكون لنا القدرة على تفسير واستخراج اهم الذكريات الأساسية المساعدة في نمو شخصيته و المكونة لها بالأساس .

أولا : مفهوم الذكريات عند التحليليين :

❖ فرويد Freud:

قدم فرويد مفهومه للذكريات الباكورة ولقبها بمصطلح " memories screen " و اعتبر فرويد (1899 – 1950) ان الذكريات الباكورة للطفولة هي شاشة داخلية ، وتكمن وظيفتها في حجب الأحداث المؤلمة المكبوتة التي من شأنها ان تهدد الانا اذا جلبته للوعي و أن الأشياء و المواد التي يتذكرها المفحوص مهمة فقط في توجيه المعالج نحو ما تم كبته. لذلك ركز فرويد انشاء سرد المفحوص لذكرياته على ما لم يقله في الذكرى وأكد على معناها الخفي و الغير ظاهر .

دون فرويد (1917 – 1947) "أن الذكريات لدينا هي ملكنا من تجارب سابقة من تركيبة بصرية فعلية وخبرة ومع ما سمعناه من الآخرين " ، ان شاشة الذكريات أو الذكريات الستائر تتكيف بشكل جيد في إخفاء الأشياء المكبوتة وتؤدي لظهور وظيفة الدفاعات، كما انه من واجب التحليليين العثور و التعرف على الأحداث المكبوتة والخفية وراء شاشة الذكريات ، وهذه الأخيرة تشبه الأحلام لانها تحتوي على عناصر الكبت ، الازاحة ، تكثيف ، الرمزية واخرون ذو وضع ثانوي (Roger P., HMosak 2006. P273)

دمج فرويد باسم الشعور (العقل الظاهر) فصارت أقسام الذات الشعورية اثنين فقط هما: العقل الظاهر و العقل الباطن . وعلل فرويد الدمج بقوة خفية من شأنها صد الخواطر و الذكريات عن الظهور في منطقة الشعور لسببين :

- الأول : كون هذه الذكريات و الخواطر ضد العادات و التقاليد و قيم المجتمع .
- الثاني : كون هذه الذكريات من النوع الذي لا يقوى الشعور على تحمل ما يصاحبها من ألام وقد أطلق فرويد على هذه القوة الصادة اسم قوة الكبت ، لذلك يرى أن قوة الكبت هذه تحوي الذكريات الطفولة و الحوادث النفسية المعاشة و المكبوتة ..(أسامة ، ح. 2011 . ص 83)

وكذلك اهتم فرويد بالذكريات الأليمة ويجب كبتهها بقدر الإمكان. وخصوصا إذا كانت هذه الذكريات هي ذكريات الطفولة، أي قبل أن تكتمل شخصية الفرد وتبلور. في هذه الحالة، تدفن الذكريات في أعماق اللاشعور. وتستبدل في العقل الواعي بمكان خالي، أو بذكريات خاطئة مختلفة. المهم هنا هو طمس هذه الذكريات الأليمة التي تجعل الحياة لا تطاق عندما نتذكرها.

هذه الذكريات الأليمة المدفونة في العقل الباطن، والتي لا يتذكرها العقل الواعي، ليست بدون تأثير. فهي قد تشكل سلوك الفرد وتتحكم في قراراته وفيما يجب ويكره دون أن يدري.

ولم يكن فرويد بالذكريات الأليمة بل حتى الذكريات السارة يمكنها أن تُكبت هي الأخرى. فمثلا، الشعور بالدفء والشبع والأمان والحب المصاحب للإرتقاء في حضن الأم وتناول ثديها في الصغر، هي ذكريات لن تتكرر. هذه الذكريات السعيدة، لا يجب أن تترك لكي تتداخل مع النشاط اليومي للإنسان. إذا كنت تقود السيارة، أو في إجتماع مع رفاقك في العمل، ذكريات الطفولة الجميلة هذه لن تفيد وربما تكون معوقا للعمل والتفكير. ولهذا السبب يقول فرويد بأن الشعور باللذة الجنسية. لا توجد بكاملها في الذاكرة الواعية. لأنك لا تريد تذكر ذلك وأنت تقوم بالعمل. أو كما قالت القديسة تريزا في القرن السادس عشر: "من الصعب غسل الأطباق بعد رؤية وجه الرب." ويرى فرويد، ليست فقط بعض الذكريات الحقيقية هي التي تكبت في اللاشعور، ولكن أيضا بعض الذكريات الخاطئة أو الفالصو. هذه الأخيرة هي مجرد خيالات وتصورات.

الطفولة عند فرويد مليئة بالعقد النفسية والرغبات المكبوتة الجنسية وعقدتي أوديب وإكثرا. وهو مفهوم يتعارض مع مفهومنا للطفولة البريئة النقية التي لا تشوبها أي علاقة جنسية من قريب أو بعيد، فالطفولة ليست بريئة كما كنا نعتقد. ولكنها مليئة بالرغبات الجنسية الموروثة منذ البداية حتى النهاية. ولأن المواضيع الجنسية محظورة بالنسبة للأطفال بسبب تقاليد المجتمع، لا يجد الطفل أمامه سوى تحويل هذه الرغبات إلى خيالات وتصورات. "الأنا الأعظم" يقوم في هذه الحالة، بربط هذه الخيالات والتصورات الجنسية لدى الطفل بالشعور بالذنب ثم يقوم بكتبتها في العقل الباطن.

ليست فقط الرغبات والذكريات والخيالات، تكبت في العقل الباطن، ولكن الشعور بالذنب المتولد عن "الأنا الأعظم" هو الآخر يمكن أن يكبت. العقل الواعي لا يمكنه العمل بكفاءة، طالما يتعرض لمضايقات مستمرة في صورة الإحساس بالذنب.

(http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=26182)

✓ مثال : ذكرى لمفحوصه :

" عندما كنت صغيرة أتذكر أنني غسلت دميتي في الحوض ووضعتها تحت الماء " : ان الاستقراء للمحلل للنفساني التحليلي لهذه الذكرى ان المنافسة الأخوية ظهرت بين العميلة أو الحالة وأخيها الأصغر ، حيث أنها كانت كبيرة جدا لدرجة أنه لديها مشاعر هائلة من الغضب تجاهه التي كانت ولا تزال غير مقبولة وتحتاج الى كبت وقمع من ذاكرتها ووعيها . فالختموى يعتبر ضار لذلك لا يظهر على الذكريات الستائر .

❖ هولمز holmes:

أيد هولمز فرويد في هذا الرأي وشكك في دقة الذكريات الباكورة كإختبار إسقاطي ككل ، أظهرت النتائج التي توصل إليها أن الذكريات الباكورة ليست واضحة ودقيقة لقياس عوامل الشخصية وأن أول الذكريات الباكورة المسترجعة بالتداعي الحر هي مشوهة بشكل دفاعي بعبارات النبوة العاطفية ، عكس الذكريات المتأخرة . استنتج أن هذا التشويه أو الستائر كانت بفعل مشاعر الأمن لدى الفرد مع ذلك فشل هولمز في أخذ بعين الاعتبار تعدد الذكريات الباكورة التي تحدث بشكل طبيعي.

✓ ذهب موساك الى أن إستنتاج هولمز للنتائج زائفة الأسباب تتعلق بالموضوع أو المواضيع العامة للذكريات الباكورة . احدى الذكريات قد تكون مختلفة عن البقية في النبوة او المحتوى وقد تعطي إنطبعا بوجود عدم توافق ، مهما يكن لا يمكن أن يوجد أي تنافر داخل الشخص . لذلك يقع على عاتق المعالج تحديد كيف أن النقطتين تبدوان متناقضتين يمكن الوصل بينهما بخط واحد . وأحيانا نستطيع إستعمال (إن _ فإن) على سبيل المثال ان كانت احدى الذكريات تطرح موضوع الأخذ والأخرى موضوع العطاء (فهما مبدئيا موضوعان متناقضان) ، ويمكننا رؤية الخط الجامع بين هاتين النقطتين عندما نضيف عبارة (إن _ فإن) التي يجب أن تتواجد لحل هذا التنافر "لذلك لابد أن أحصل على قدر المستطاع لكن إن كنت مع أصدقائي فإنني ينبغي أن اعطيهم" .

إقترح موساك لمقولة هولمز حول إختلافات النبوة التي تسير عكس وحدة الشخصية أنها لاتأخذ بعين الاعتبار الأداء الشمولي للشخص . انها نظرة لمركبات منفردة بدلا من البنية التكاملية . ومن الغير مستحسن وضع الافتراض من ذكرى واحدة ، كما أنه ليس من الحكمة أن نحكم على الفيلم بناء على مقطع واحد .

ان كان هولمز يذهب للربط بين وظيفة الستار فإن ذلك مضاربة ومثل هذا الفعل يقتضي ان المؤولين للذكريات الباكورة يستقون منهاج عيشهم على الذكريات الباكورة .

فمثلا تخيل نفسك في مسرح لمشاهدة مسرحية لكن الستار لم لم يرتفع و يجب عليك التخمين ما يحدث وراء هذا الستار ولكن المعلومات التي قد تتلقاها (صوت مكتوم ، خطي) لاتمثل عن ماذا يحدث ، و تخميناتك هي اكثر منها حقائق حول مايجري خلف الستار .

❖ واصل كاهانا kahana و رفقائه :

هناك ندرة في التراث الفرويدي المفسر للذكريات الباكورة حسب kahana واخرون حيث عرفوا الذكريات الباكورة على انها : "ان الذكريات الباكورة هي جزء حيوي من الشخصية" ، وعلى هذا النحو فهي تعكس اجماليا أداء الشخصية . وتساؤلنا هو كيف يمكن للفرويديين التصريح أن الذكريات الباكورة تعكس جميع جوانب عمل الشخصية ومادامت مصممة لاختفاء جوانب معينة من الأفكار والسلوكيات ، وخاصة الجوانب الصادمة جدا للأنسا؟ وأشارو الى الخبرات الطفولية الصادمة انفعاليا ودفاعات الأنسا الأساسية وأحيانا الميول الى التحويل.

✓ وهذا يستلزم مجددا أن الاختصاصي النفسي : قد يتنبأ بصعرات اللاوعي في التراث الفرويدي يوصف الانا بأنه يستخدم جزءا مركزيا في إستعادة الذكريات الباكورة حيث أن الوظيفة التركيبية للأنسا تجعل من الممكن إعادة تنظيمها وإعادة هيكلة الذكريات الباكورة ، هذه إعادة الصياغة حوصلها niederland

❖ نايدرلاند niederland :

حيث قال أنه من خلال الذكريات الباكورة نجد:

المحتوى و العاطفة في الذاكرة يمكن التعامل معه بطريقة مراجعة من قبل كل من الأنسا و الأنسا الأعلى والسماح لحل اكثر واقعية للصراع بين القوى البدائية و الغريزية و الدفاعية التي خلفت الحدث الأصلي الصادم و المؤلم و المسبب لأمراض .

مهما يكن وكما قرأت سابقا الأشخاص يتذكرون الذكريات الأليمة و كما قرأنا أعلاه أن هذا الإجراء يمكن أن يصبح إختبار إسقاطي للمحلل أكثر منه للمفحوص ، المعالجون مدعوون لإسقاط ما يعتقدونه خلف الستار والتخمين حول ما لم يقله المفحوص أليست المضاربة على المادة التي لم تقدم في الذكرى مساوية لتحقيق يصيغ حالة بناء على نقص في الأدلة ؟

انه يشبه ان تدين شخص بجرمة دون حجة بل الدليل الذي يعتقد محقق انها موجودة هناك . نقترح توجيه العلاج على قاعدة نقص الأدلة امر خطير على كل مفحوص والمعالج يعتدي ويحرف المعنى الحقيقي للمحتوى الظاهر للذكرى الباكورة وهدفها .

✓ احد العيوب الأخرى في المنهجية الفرويدية للتأويل هي أن ممارسيه يجب أن يكونوا على دراية بكل المصطلحات التحليلية مثل : كبت ، رغبة جنسية ، اللاوعي ... وما الى ذلك أولئك الذين لم يتبنوا بالمسلمات الفرويدية لايمكن ان يفهمو كيفية تأويل ما يطلق عليه الفرويديون بالذكريات الستائر . ومن بين المشاكل الأخرى التي يرونها الفرويديين هو مفهوم screen memories الذكريات الستائر ، انه تركيز الرجعي و السببية ، وجهة النظر التحديدية لايشترك فيها غير الفرويديين الذين يتمسكون بوجهة نظر حدية للإرادة ، بالنسبة للفرويديين الأشخاص هم نتاج ماحداث لهم ، ومع ذلك نحن نعتقد ان الناس قادرون على تجاوز الصدمات وان يباشروا حياة منتجة ، وانهم قادرون على تفسير الأحداث واختيار كيفية التعامل معها وحتى توقعها ، بالإضافة يفسرون ويتجاوبون مع الصدمات و الاحداث الصدمية

بأشكال مختلفة ، فالمفهوم الفرويدي يقول ان الناس تستجيب بطرق معينة تجاه الصدمات ، ثم يخفونها عن الوعي لحماية ذواتهم ومن وجهة نظر الغير فرويديين يمكن أن يفعلوا أو لا يفعلوا .

وما يثير مناقشتنا هو ان مفهوم الذكريات الستائر يمكن أن تمتد من هو تحت العلاج لان المعالج سيسقط على ماضي المفحوص سبب كل مشكلات المفحوص (Roger P., HMosak . ibid. Pp 273 – 275)

ثانيا : مفهوم الذكريات في علم النفس الفردي :

❖ ألفرد أدلر Adler:

نحن لانستطيع أن نقرر بصفة نهائية معنى أحد هذه المواد (الجزئيات) ، بل إنه من الواجب علينا أن نرى الدور الذي تقوم به تلك الجزئية ، وكل الجزئيات (المواد) التي تقول الشيء نفسه ، وإذا ما أمعنا النظر فيه فإننا سنجد هي التي توجهنا نحو الحل .¹ نحن مثل عالم الآثار الذي يجد شظايا و بقايا من أدوات و حوائط و مباني و آثار محطمة وأوراقا من البردى ، ومن خلال هذه الشظايا يتمكن من الاستدلال على طبيعة وشكل الحياة في تلك الفترة البائدة و لكننا لا نتعامل مع أشياء بائدة ودائما نتعامل مع آلاف الجزئيات و المواد المرتبطة ببعضها البعض ، و التي تشكل الانسان و شخصيته . حيث إن مهمة فهم إنسان ليست بالمهمة السهلة ، وعلم النفس الفردي يعتبر من أصعب فروع علم النفس التي يمكن ممارستها ، وإنه من المفروض علينا أن نصغي إلى المشكلة برمتها ، وأن نظل حذرين حتى يصبح مفتاح الشخصية واضحا .

كما ان من الواجب علينا ان نجتمع الكثير من الاشارات و اللمحات التي تأتي بصورة عفوية: من الطريقة التي يدخل بها غرفة ما ، ومن الطريقة التي يصافح بها الآخرين ، ومن أسلوبه في الضحك و الابتسام ، وطريقته في المشي و الكلام .

ربما جانبنا الصواب في فهم واحدة من تلك النقاط أو الجزئيات لكن باقي الجزئيات ستقوم بتصحيح فهمها وتصويب الإنطباع الذي نأخذه عن هذا الفرد ..

من الطرق السهلة لكسب تعاطف و حب المرضى التساهل المستمر و التدليل الزائد لمن إعتاد منهم ذلك ، ولكن رغبتهم الدفينة في السيطرة ستكون مخفية تحت السطح ولو اننا حاولنا الاستخفاف بهم سوف نكسب عداوتهم بسرعة ، وحتى أنهم سوف ينقطعون في العلاج ، وإذا استمروا في العلاج فإنهم سيفعلون هذا بغرض تبرير أنفسهم وجعلنا أسفين على الإستخفاف بهم ، لذلك علينا أن نظهر لهم الاهتمام الحقيقي بهم الذي يجب أن يكون متبادل بين البشر .

ومن الواجب علينا التعاون معهم في محاولة اكتشاف أخطائهم ، لان هذا سوف يحقق الفائدة لهم وللآخرين في نفس الوقت ، وإذا وضعنا هذا الهدف نصب أعيننا فإننا لن نواجه تلك التحويلات السلبية / الإيجابية . لأنه من أكثر التعبيرات النفسية لها دلالة على شخصية الفرد هي ذكرياته .

يمكن اعتبار العلاج في حد ذاته تدريباً واختباراً للقدرة على "التعاون" ، إننا يمكن أن ننجح فقط إذا ما كان اهتمامنا بالآخرين حقيقياً ، فيجب أن نطور قدرتنا على الرؤية من خلال عيونهم و السماع بإستخدام أذانهم حتى نحصل على مساهمتهم في تحقيق هذا الفهم المتبادل ، فحتى لو شعرنا أننا تمكنا من فهمهم فإنه لا يوجد دليل على صحة شعورنا هذا حتى لحظة تمكّنهم من فهم أنفسهم .

إن الحقيقة غير المهدبة وغير لبقّة لا يمكن أن تكون كل الحقيقة ، لأنها تفضل مدى فهمنا الكافي لتلك الحقيقة ، ولعلّ الفشل في فهم هذه العبارة الأخيرة هو السبب في أن الكثير من مدارس علم النفس طورت مفهوم " التحويلات السلبية والابجابية " ، التي هي عوامل لا نصادفها في العلاج باستخدام علم النفس الفردي.

✓ مدلول الذكريات الباكّة :

هي ما نحمّله معنا دائما ليدكرنا بمحدودية قدراتنا وبالمعنى الذي نضفيه على الأحداث لا يوجد ما يمكن أن نطلق عليه " ذكريات بالمصادفة " ، فمن بين الاف التعبيرات التي تمر بالفرد يختار أن يتذكر تلك التعبيرات التي تترك انطبعا عليه وعلى مشاكله وإن مثل هذه الذكريات تمثل قصة حياته ، وهي قصة يسترجعونها المرة بعد المرة ، بغرض تشجيع أنفسهم على التركيز على هدفهم الأساسي ، أو يعدون أنفسهم عن طريق الخبرات السابقة لمواجهة المستقبل بطرق مجرية و موثوق بها . (أدلر.أ. 1931/ 2005. ص ص 105 - 107) .

ثالثا : الفرق بين الذكريات الباكّة عند فرويد و أدلر :

أخذت الذكريات الباكّة منذ فترة طويلة اهتمام العياديين و لكن لم تتلقى الأسلوب المنهجي للاستقصاء و البحث التي كانت ممنوحة للتقنيات و البيانات المماثلة الأخرى وقديما كان يوجد موقفين مختلفين كبيرين لتحديد مغزى الذكريات الباكّة :

أكد فرويد على وجود تقسيم و على أنهم نتاج من تجارب الوعي و يتم خزنها و كتبها و خاصة الغير المرغوبة ووضع لها مصطلح *screen memories* و هذا التركيز و التدقيق أدى الى تجاوز محتوى الظاهر للذكريات و لاستخراجها و كشفها يجب على الفاحص بذل جهد كبير و العلاج المركز لكشف ما ورائها (H, J; Schiffman, Friedman, Vol 18. p57. 1962 .

وأيضا لا يزالون يستدعون الذكريات الباكّة عن طريق التداعي و بالاعتماد على المفهوم الفرويدي و استمروا باعتبارها شاشة الذكريات الباكّة و ذلك بالرغم من أن فرويد وأدلر يرون أن الذكريات الباكّة مهمة كأداة لفهم المريض وراء الغرض منها بشكل مختلف. فرويد ينظر الى الخبرات السابقة بحكم ان الناس تستخدم الذكريات الباكّة كشاشة او ستار لحجب الاحداث المؤلمة والصدمات . (. ibid P 276 . . Roger P., H Mosak) ، ومن ناحية أخرى أكد أدلر أن الذكريات الباكّة للفرد تشير و تدل على أسلوب حياة الفرد في حد ذاتها ، فهناك علاقة وطيدة بين الذكريات الباكّة و تعبير الفرد عن نفسه واختياراته و عن عداته . (opcit . P 57, J; Schiffman, Friedman) ، وأيضا يرون أن الناس تستخدم الذكريات الباكّة لتحقيق أهدافهم .

(Mosak) ، (H . Roger P . ibid.. P 276) ،

رابعا : كيفية تحليل الذكريات الباكّة من طرف الفرويديون و الادلريون :

✓ ذكرى باكّة :

" في يوم من أيام المدرسة عاقبتني المعلمة لشيء من خلال وضعي في حجرة مضلمة و اعتقدت أنها نسيت أمري وعندما صرت جائعا أكلت وجبة غدائها ، وبعدها اضطرت للذهاب للمرحاض وكنت مضطرا ولم أكن أعرف ماذا يجب القيام به ولذلك حاولت وكان الباب مفتوحا . و عندما كنت راجعا على الطريق ملأت سروالي على الرغم من أنني قرب المنزل و اعتقدت ان والدتي ستكون غاضبة مني لهذا السبب

كالمعلمة. ثم ظهر لي ثلاث أولاد يريدون مني بعض المال ولم يكن لدي ، فأخرجو لي سكين وقطعوا ثلاث شقوق في حزامي ، عندما رجعت للمنزل لم أكن أتذكر ما حدث لي .

❖ أعطى موساك التفسير من وجهة نظر التحليليين :

قد نرى في هذه الذكرى خلاصة التطور النفسي للمريض . الطفل في غرفة مظلمة (الرحم) ، ثم أكل وجبة المعلمة (مرحلة فمية) ، ملاً سرواله (مرحلة شرجية) ، يذهب نحو الام (بداية المرحلة الاودية) ويجتمع بثلاث أولاد (ثلاث هي رمز الأعضاء التناسلية الذكرية و يمكن ان تكون ممثلة للاب) الذي قطع شقوق حزامه (ان الحزام كان طويلاً نقطة هادفة على أنه مخصص رمزيا) .

❖ أعطى موساك التفسير من وجهة نظر الأدلبيين :

ان هذه الذكرى معقدة نوعاً ما لأنها تحتوي على اعتقاد مضاد للمجتمع ، ولم يتحمل المسؤولية وأن أستاذته هي المسؤولة عن سبب كل ذلك ، والية الاسقاط ظهرت على الواجهة و تحمل لنا دليل الذعر و التي تؤخذ الى جانب احتمال ظهور جنون العظمة و انه معفى من الأدوار و كان لديه امتياز عدم المطابقة ، وهناك الكثير مما لا يجتزمون هذا الامتياز وانها غير عادلة ، وان تصور العالم على انه ذكوري عدائي وتشير و تهدد سجلات المشفى الى ان يتم تشخيص المريض واقعياً بجنون العظمة وفصام البارانوي و اللشوع أنه يمارس أنشطة جنسية مثلية علنية .

✓ تفسير الذكرى الباكورة وفق منهاج العيش (ذكرى المفحوص) :

من خلال الذكرى شرح موساك وجهة نظره ، و التي قام بها على شكل منهاج العيش للمقاربة المقنعة لديه :

➤ مفهوم الذات :

- أنا لا أعرف ما الخطأ الذي إقترفته (المعلمة عاقبتني على شيء) .
- انا أخطرت في الأعمال المضادة للمجتمع (أكلت وجبة المعلمة) .
- عندما أقوم بالخطأ ، أدفع الثمن (عوقبت بوضعي في الخزانة) .
- أراد الذهاب للمرحاض بعد تناوله وجبة المعلمة ، وهذا وضعه في حالة الضغط : "كنت مضغوطة ولم أكن أعرف ماذا أفعل " .
- المرأة نسيت أمره (أظن أنها نسيت أمري) .

- أنا لست رجلاً للدفاع عن نفسي بما فيه الكفاية (من ثلاث أولاد إعترضوا طريقي وقطعوا حزامي) .
- لأستطيع السيطرة على نفسي (خسرت بنطال سروالي) .
- أخاف كيف يمكن أن تتفاعل النساء أمام فقداني لسيطرتي .
- الذات المثالية : (طريقة المثالية للحياة . يجب أن) .

- لا يجب أن أعاقب .
- أود أو أحصل على إهتمام النساء .
- يجب أن أكون قادراً على الابتعاد مع الأشياء .
- يجب أن أكون قادراً على الوقوف في وجه الرجال .
- يجب أن يكون لدي الكثير من المال .

➤ نظرة العالم الخارجي :

- المرأة عاقبتني (المعلمة انثى) وضعتني في خزانة مظلمة .
- المرأة تركتني (نسيت أمري) .
- الرجال تهددني وتحاول إضعافي (الأولاد هددته وقطعت حزامه) .
- أتوقع أن المرأة سوف تخوض المعرك لأجلي (اعتقد أنه عند الذهاب للمنزل ستكون أُمي غاضبة مني مع المعلمة لهذا السبب) .
- رجال و نساء عاملوني بأسلوب سيء .

➤ القناعات الأخلاقية :

- اذا أخطأ الناس في حقى ، سأخطأ فيهم جميعا (عندما أصبحت جائعا ، أكلت وجبة غدائها) .
 - النساء تهملني وهذا خطأ .
 - الرجال يطلبونني وهذا خطأ .
 - اذا قمت بشيء خاطئ ، حتى لو لم أكن أعلم ماهو سوف ادفع الثمن حول ذلك .
- ✓ عندما أظهر فرويد مفهوم شاشة الذكريات أكد المعاني الخفية للذكريات و المشكل الأساسي هي أنها يمكن أن تنقلب الى اختبار اسقاطي للمحلل أكثر من المفحوص (Mosak H ، Roger P .opcit. Pp 273 – 278)

خامسا : التوظيف النفسي للذكريات :

إن استخدام الذكريات لتهيئة المزاج الشخصي نحو تحقيق هدف ما يمكن رؤيته بوضوح في السلوك اليومي للأفراد . لو أن فردا ما عانى من عقبة أدت إلى تحاذله وتثبيط همته فإن مثل هذا الشخص سوف يسترجع في ذاكرته العقبات السابقة ، فإن كان هذا الفرد يعاني من المنحوليا فإن كل ذكرياته ستكون باعثة على التشاؤم والحزن . بالمقابل ، إن كان فرد ما مرحا وسعيدا وشجاعا فإنه يختار أن يتذكر مجموعة مختلفة من الذكريات ستكون كلها تتسم بالتفاؤل والسعادة ، وبالطريقة نفسها إذا ما واجه عقبة ما فإنه سيستدعي ذكريات تساعد على تشكيل الموقف الذي سيواجه به تلك العقبة . (أدلر، أ. مرجع سبق ذكره .ص 108)

إن مثل تلك الذكريات تعطينا فكرة واضحة عن الطريقة التي يتعامل بها معظم الناس مع الحياة ، فنحن نتخذ من انطباع واحد ذريعة لتبرير الكثير من أفعالنا . نحن نستنتج منه ونبنى عليه ونتصرف كما لو كانت أفعالنا حقائق لا جدال فيها ... عموما ، أي شخص يكره فعلا من الأفعال فإنه يحاول تبرير هذه الكراهية عن طريق اختيار حدث من الخبرات التي مرت بهم في الماضي وتحميل هذا الحدث وزر تلك الكراهية . (ألفرد أدلر، أ. مرجع سبق ذكره. ص 121) .

هكذا نرى أن الذكريات تخدم الفرض نفسه الذى تخدمه الأحلام ، فعندما يكون على البعض اتخاذ قرار ما فإن الكثير منهم يحملون بأحد الامتحانات التي تمكنوا من اجتيازها بنجاح ، فهم هنا يرون أن القرار ما هو إلا امتحان ، ولهذا هم يحاولون إعادة خلق الجو السابق والذى تمكنوا فيه من اجتياز الامتحان بنجاح .

ما يصدق على تنوعات المزاج داخل منهاج عيش فرد ما ، يصدق أيضا على بنية وتوازن مزاجاته عموما . فالشخص المنحولي لن يبقى منحوليا استذكر أوقاته السعيدة ونجاحاته لا بد أنه يقول لنفسه : " لقد كنت تعيش الحظ طوال حياتي " وينتقي الأحداث التي يؤولها كأمثلة على قدره التعيس (Adler A. 1931 .p46)

سادسا : ما هي الذكرى الدالة نفسيا :

بالنسبة إلينا ، كل ذكرى - مهما بلغت تفاهتها- مهمة جدا لأنها تمثل أمرا ينبغي تذكره بالنسبة لهذا الشخص. وترجع أهميتها إلى كونها تصور الحياة كما يعرفها ذلك الشخص فهذه الذكريات تقول له :

" إن هذا ما يجب عليك أن تتوقعه " ... ، أو " إن هذا ما يجب عليك أن تتجنبه " ... ، أو " هذه هي الحياة " .

علينا أن نؤكد هنا حقيقة هامة وهي أن الخبرة التي مر بها الفرد في حد ذاتها غير هامة ، إنما المهم هو أن هذه الخبرة ظلت في الذاكرة وساعدت على بلورة المعنى المنسوب للحياة - تعريفه لـ "معنى الحياة" - وكل ذكرى ما هي إلا دافع للتذكر(أدلر، أ. مرجع سبق ذكره. ص 41) .

إن الذكريات الخاصة بالطفولة المبكرة ذات فائدة خاصة في إظهار طول المدة التي احتفظ بها فرد ما بتعريف معين لـ "معنى الحياة" ، وفي كشف الظروف التي بلور فيها موقفه من الحياة لأول مرة . وتحتل الذكرى الأولى مقاما مرموقا لسببين :

أولا : أنها تتضمن التقييم الأساسي للفرد ووضعه ؛ هي أول حوصلة قام بها الفرد للمظاهر من حوله ، هي أول رمز متفاوت الكمال حول ذاته والمطالب الواقعة عليه .

ثانيا : إنها تمثل نقطة الانطلاق الذاتية له ، هي مطلع سيرته الذاتية التي كتبها بنفسه لنفسه. بالتالي ، غالبا ما نجد فيها التباين بين وضعية ضعف وعجز يشعر بنفسه فيها ، وهدف القوة والأمن الذي يراه مثالا له (Alfred Adler .ibid. Pp13-14)

ولا يهمنا أن تكون الذكرى - التي يعتبرها الفرد أول الذكريات - هي حقا أول شيء يستطيع هذا الفرد تذكره عن طفولته المبكرة أم لا ، فقد يستطيع الفرد تذكر حدث ما سابق عن ما اعتبره "أول الذكريات" ؛ إنما المهم أنه يعتبره هو أول الذكريات ، حتى إنه من غير المهم معرفة ما إن كانت هذه الذكرى الأولى حقيقية أم من صنع خياله . إن الذكريات تهمنا فقط بسبب ما تمثله ، لكونها تمثل طريقة فهم الحياة وتأثيرها على الحاضر والمستقبل. (أدلر، أ. مرجع سبق ذكره . ص 42) .

وليس فقط الذكريات التي يتم الاحتفاظ بها بقوة بل حتى تلك الناقصة و صعبة التذكر وحتى تلك التي لم يتم التعبير عنها بكلمات ولكنها متواجدة فقط كغمات عاطفية وذهنية .

وكما نعلم ان الانا لا يعبر عن نفسه بالكلام بل أيضا بالعواطف في موقفها وان علم وحدة الانا مدين لعلم النفس الفردي لاكتشافه organ- dialect حيث اننا الان أصبحنا على اتصال بالعالم الخارجي بكل أشكال الجسم و العقل (Adler A 1933/1938 . Pp1-2

من هذا نرى أن الأحداث التي يتذكرها الفرد في طفولته قريبة جدا من الاهتمام الرئيسي للفرد ، ولهذا فإنها ستمكننا من الاقتراب من معرفة اهتمامه الرئيسي ؛ فإن عرفنا الاهتمام الرئيسي للفرد فإننا سنعرف هدفه الرئيسي ومنهجا عيشه . وهذا ما يجعل الذكريات الأولى ذات أهمية خاصة في إرشاد الأفراد إلى الوظيفة المناسبة لهم ، كما أن الذكريات الأولى توضح لنا طبيعة العلاقة بين الطفل وأمه وأبيه وباقي أعضاء الأسرة . (أدلر، أ. مرجع سبق ذكره . ص 109) .

بيد أنه ينبغي لنا أن لا نفرق أكثر مما يجب بين الذكريات القديمة والحديثة ، لأن الذكريات الحديثة تنطوي هي أيضا على خط العمل كما تنطوي عليه الذكريات الباكورة . والعثور على خط العمل في بداية الحياة أسهل وأهدى لنا ، لأن من اليسير علينا في تلك الحقبة أن نكشف عن موضوع فحسنا ، ونستطيع أن نتبين أن منهجا عيش الشخص لا يتغير تغيرا حقيقيا . وفي وسعنا أن نجد في منهجا العيش -

الذي يتكون في سن الرابعة أو الخامسة - ما بين ذكريات الماضي وأفعال الحاضر من صلة . ومن ثم نستطيع بعد كثير من أمثال هذه الملاحظات أن نستمسك بالنظرية القائلة أن في مقدورنا أن نجد هذه الذكريات الباكّة جزء حقيقيا من النموذج الأول للمفحوص . (ألفرد أدلر، أ. 1929 / 1944 . ص ص 77-78).

وعليّنا أن نذكر هنا حقيقة غريبة ألا وهي أنه من غير المهم ما إن كانت هذه الذكريات دقيقة أم لا ، أو حتى ما إن كانت تحتوي على أي قدر من الحقيقة ، فالشيء المهم هو أنها تمثل حكم الفرد ورأيه في هذه الذكريات (أدلر، أ. مرجع سبق ذكره . ص 110)، سواء حدثت الذكرى حقا كما تذكرها أو رواها الفرد (وهذا مستبعد) أو أن افتراضات وشروحات وتفسيرات الفرد حولها كانت مضافة ، أو أن الذكرى لم تقع بتاتا ، فالنتيجة هي نفسها : هذه الذكرى الباكّة سوف تعكس وجهة نظر الفرد حول الدنيا وحول ذاته ومسار السلوك الذي اختاره لنفسه للتعامل مع عالم معقد (PAPANE; 1972 . H.. JIP. Vol 28 . Nr2. Pp 169-170).

عندما يعود مفحوص بذهنه إلى ماضيه فليس ثمة شك في أن كل ما تنطق به ذاكرته سيكون من الأمور التي يهتم بها من ناحية انفعالاته ، لذلك يكون بوسعنا أن نجد فيه بابا ننفذ منه إلى معرفة شخصيته (أدلر، أ. مرجع سبق ذكره. ص 78).

لأن هذه الانفعالات تنسجم مع الكيفية التي يتحرك بها المفحوص في الحياة). Roger P Mosak. H. p 280 ibid.. ولسنا ننكر أن للذكريات التي نسيّت شأننا ما في منهاج العيش وفي النموذج الأول للفرد . لكن من الصعب في كثير من الأحوال أن نعرف الذكريات المنسية ، أو الذكريات اللاواعية كما يسميها المحللون . على أن الذكريات الواعية واللاواعية تشتركان في أن كليهما تؤدي إلى هدف السمو نفسه ، وأن كليهما جزء من النموذج الأول الكامل . لذلك يستحسن أن نعرف الذكريات الواعية واللاواعية معا إن استطعنا إلى ذلك سبيلا . ويكاد النوعان في آخر الأمر أن يكونا متساويين في الأهمية . وكلاهما عموما لا يفهمه صاحبه ، وغيره هو من يجب عليه أن يعمل على فهمهما وتفسيرهما له. (أدلر، أ. رجع سابق. ص 78).

بديهي أننا لا نأخذ الذكريات الباكّة كتقارير صحيحة عن الوقائع التي تكون قد جرت في ماضي الفرد وطفولته. فلو أن شخصين عاشا وقائع خبرة ما معا واسترجعاها في ذكرياتهما الباكّة لوجدنا تباينا واضحا بين القصتين المسرودين من قبل كل واحد منهما ، لذلك لا نتوقع أن تكون الذكرى مطابقة للواقع ، بل ما يهمنا هو أن ذلك يعود إلى تباين في الاهتمام الرئيسي لكل واحد منهما ، في منهاج عيش كل واحد منهما ، الذي جعل إدراك كل واحد للخبرة نفسها مغايرا لشريكه فيها .

وكثير من هذه الذكريات هي أيضا من إنتاج الخيال . وأكثر هذه الذكريات يتبدل ويتغير خلال الحقبات اللاحقة من حياة الفرد ، وهذا لا ينقص إطلاقا من قيمتها ومغزاها . ما تبدل أو تخيل من هذه الذكريات يملك دائما القدرة على التعبير عن هدف المفحوص . ورغم أن عمل الذاكرة يختلف عن عمل المخيلة ، إلا أننا نستطيع بدون مخاطر أن نستخدم الذاكرة والمخيلة ، وأن نربطهما بالعوامل الأخرى التي نعرفها . لكننا رغم ذلك لا نستطيع أن نقدر بصورة دقيقة قيمة ومغزى هذه الذكريات إلا إن ربطناها بمنهاج العيش الشامل ووافقنا بينها وبين خط الكفاح الرئيسي للفرد في سعيه نحو السمو .

في الذكريات التي تعود إلى السنوات الأربع أو الخمس الأولى من حياة الفرد نجد بشكل رئيسي قطعا وأجزاء من نموذج الفرد وإشارات مفيدة حول الأسباب التي أعطت تصميم العيش شكله الخاص . ونستطيع - هنا أيضا- أن نلمس الإشارات الأكثر ضمانة حول الجهد الشخصي والتمرن الشخصي لمواجهة القصص والمصاعب العضوية الجسدية في البيئة الأولى . إن علامات درجة الشجاعة والنزعة الاجتماعية تظهر في كثير من هذه الحالات . (أدلر، أ. 1929 / 1982 ص ص 258 - 259).

الخلاصة :

إن السعي الفرد نحو الاكتمال الذي يعتبر الهدف الطبيعي لكل فرد ، فهو ينبع من شعور الفرد بالنقص و بما ان الفرد لا يعيش وحده ، بل يعيش في مجتمع و محيط اسري يحيط به ، وهذا الاخير له دور اساسي في تكوين شخصية الفرد وتكوين منهج عيش الفرد وأسلوب حياته من خلال الخبرات التي يعيشها و الذكريات الباكراة التي بإمكان الفرد من خلالها التعرف على الفهم الخاطئ و المشكل الذي يعاني منه فلا يمكن ان تكون الذكريات الباكراة معاكسة لمنهج العيش و أسلوب الحياة الذي يتبعه الفرد فهي مشابهة له تماما و كذلك اذا تغير منهج العيش تتغير معه اختيار الذكريات فهو يكون مناسباً لها تماما فأحساس الفرد بعدم المساواة هو الذي يولد الشعور بالنقص مما يجعل الفرد يختار ذكريات تدل على القصور والعجز ويتخذ اسلوباً محددا لتعويض القصورات التي توجد عنده ، فهو يسعى لتحقيق اهدافه الغائية وبلوغ السمو .

قائمة المراجع :

I. بالعربية :

1. أدلر ألفرد (1929). **الحياة النفسية**. ترجمة : محمد بدران وآخرون لجنة التأليف و الترجمة والنشر. القاهرة (1944).
2. أدلر ألفرد (1929). **العصاب**. ترجمة : أحمد الرفاعي و فارس ضاهر . دار ومكتبة الهلال . بيروت . (1982) .
3. أدلر ألفرد (1931) . **معنى الحياة**. ترجمة: عادل نجيب بشرى. المجلس الأعلى للثقافة. القاهرة . (2005).
4. أسامة سمير حسين (2011). **الاحتلال الالكتروني (الأسباب و الحلول)** . ط 1 . الجنادرية.

II. بالاجنبية :

5. Harold H. Mosak, Roger Di Pietro . **Early Recollections: Interpretative Method and Application** . Routledge . new york . 2006.
6. Adler, Alfred. **1931. What Life Should Mean to You**. The Classical Adlerian Translation Project .p46

III. المقالات :

7. Adler , Alfred (1933). **social interest : a challenge to mankind** . traduit par Herbert stein henry . **der des lebens**. German . 1938. Pp1-2.
8. Friedman, Joseph; Schiffman, Harold . 1962 . **Journal of Individual Psychology**. Vol 18
9. PAPANE Helene. **The Use of Early Recollections in Psychotherapy**. JIP. Vol 28 . Nr2. 1972.

IV. مقالات الانترنت :

- محمد زكريا توفيق . الخميس 1 ديسمبر 2010 . منبر حر للثقافة و الفكر و الادب . سيجموند فرويد والتحليل النفسي ١ . استرجعت على الساعة 37: 15 يوم 21 . 09 . 2016 من الموقع الالكتروني: http://www.diwanalarab.com/spip.php?page=article&id_article=26182

